رحلة الحجاز

٥

عرفات وحدودها

كل من عرفة وعرفات (بفتح العين والراء فيهما) اسم لتلك البقعة الشريفة من الارض، التي هي من أشهر البقاع عند ألوف الالوف من البشر . وعرفات اسم مفرد ينون كأذرعات وليس جمعا لعرفة، وجوز ان يكون أشير بصيغة الجمع الى كون كل مكان أو قسم من تلك البقعة يتحقق فيه معنى التعارف أو التعرف الذي علت به التسمية كما يأتي قريبا . ويحتمل ان يكون بعض قدماء العرب مدّ فتحة الفاء وأشبعها في الشعر ثم كثر فصار اسما مستقلا ، ونظيره قول الشاعر في عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون)

أبكاك دون الشعب من عرفات ... بمدفع آيات الى عرنات

وقول عمر بن أبي الكنات الحكمي المُغَيْري

عفت الدار بالهضاب اللواتي ... بين توز فملتقى عرنات

وظاهر عبارة لسان العرب انهما موضعان قال : وعرونة وعرنة موضعان وعرنات موضع دون عرفات الى أنصاب الحرم ، قال لبيد :

والفيل يوم عرنات كهكما ... اذ أزمع العجم به ما أزمعا اهـ

وأقول : ليس دون عرفة موضع يسمى عرنات غير بطن عرنة الذي يذكره جميع العلماء . وأخطأ من قال ان عرفة مولد ليس بعربي صحيح ومن قال انه اسم لليوم التاسع من ذي الحجة ، وانما يقال انه يوم عرفة بمعنى انه يوم الوقوف بها كما يقال يوم التروية وليس كيوم عاشوراء . وقد ورد اسم عرفة في الاحاديث الصحيحة علما للبقعة وكذا في كلام الصحابة وسيأتي شيء منها ، وعليه جرى العلماء والفقهاء فكلهم يطلقون اسم عرفة على تلك البقعة الشريفة، فلا يغترن أحد بعبارة القاموس الموهمة ولا يقول من توهم ذلك من المتأخرين وزعم انه مقتضى كلام الراغب ، وانما قال الراغب « ويوم عرفة يوم الوقوف بها » أي بالبقعة المخصوصة التي اسمها عرفة وعرفات . قيل انها سميت بذلك لان آدم وحواء تعارفا بها بعد هبوطهما من الجنة، وقيل لقول جبريل لابراهيم عليهما السلام لما علمه المناسك وأراه المشاهد : أعرفت

أعرفت ؟ قال عرفت عرفت . وقيل لانها مقدسة معظمة كأنها عرّفت أي طيبت بالعطر . وقيل لان الناس يتعارفون فيها ، وقيل لتعرُّف العباد فيها الى الله تعالى بالعبادة والدعاء . والقولان الاولان يتوقفان على نقل صحيح ، والاخيران أظهر معنى ، ويعدون تعارف الناس هنالك من حكم الحج التي شرع لاجلها ، والواقع ان التعارف بين الحجاج لا يتيسر في عرفة كما يتيسر في مني لان وقت عرفة قصير فان المجمع عليه منه يمتد من وقت الظهر الى وقت المغرب ولا يجزئ الوقوف قبل الزوال عند أحد من العلماء الا ماروي عن الامام أحمد من ان وقت عرفة من فجر يومها . ويجوز الوقوف في ليلة العاشر عند غير الشافعية ، فأنى يتيسر التعارف بين أفراد ذلك الجمع الكبير ، في ذلك الوقت القصير ، مع ما يشرع فيه من ذكر الله تعالى ودعائه ، المقصود في هذه المعاهد اذاته . وستأتي للبحث تتمة

وحدود عرفة معروفة للناس بما يتناقلونه بالتواتر عن المواضع التي يحصل الفرض بالوقوف فيها . وذكر العلماء المتقدمون لها حدودا منها قول بعضهم : الحد الاول ينتهي الى جادة طريق المشرق ، والثاني ينتهي الى حافات الجبل الذي وراء أرضها ، والثالث ينتهي الى الحوائط (أي البساتين) التي تلي قرية عرنة وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة في عرفة ، والرابع الى وادي عرنة بضم العين وفتح الراء والنون ، وعرنة وغرة (بفتح فكسر) ليستا من عرفة ولا من أرض الحرم والمالكية يجيزون الوقوف بعرنة ويحتج عليهم الجمهور بحديث « عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة ، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن بطن محسر ، ومنى كلها منحر » رواه مسلم وغيره . ومحسر (بكسر السين المهملة مشددة) و بطن محسر وعرنة كل منهما واد فاصل بين ما قبله وما بعده من المشاعر ، فوادي عرنة فاصل بين عرفات ومزدلفة ، ووادي محسر فاصل بين المزدلفة ومنى .

وقالوا : حد الحرم من المأزمين (بكسر الزاي) وهو مضيق بين عرفة ومزدلفة وهناك علمان مبنيان في أول حدود عرفة جعلا علامة على حد الحرم فما كان شرقيهما من عرفة وما وراءها فهو من الحل ، وما كان قبلهما من جهة الغرب من بطن عرنة ومزدلفة ومنى فهو من الحرم ، ويوجد ميلان آخران في أول حد مزدلفة من جهة الغرب ، فما بين العلمين والميلين هو وادي عرنة .

وفي الجانب الجنوبي من العلمين مسجد نمرة المعروف بمسجد ابراهيم بقرب الطريق الممتد من منى الى الطائف ويسمى أيضا مسجد نمرة ومسجد عرنة . قال الغزالي : ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة اه وظاهر حديث نزول النبي (ص) بنمرة أنها أدنى عرنة لا كلها . وفي كتب اللغة أن نمرة هي الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك اذا خرجت من المأزمين تريد الموقف . قال شارح القاموس: كذا في التكملة . وقيل: الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمرة على احد عشر ميلا اه وقد نقل هذا في معجم البلدان وفيه بعده : وقيل نمرة على احد عشر ميلا اه أي من مكة . فالتحقيق الذي عليه الجمهور ان المسجد لم يكن من عرفة ، وقول بعض الناس فيه « مسجد عرفة » بالفاء من باب ما جاور الشيء أعطي حكمه أو نسب اليه، ولذلك نسب بعضهم عرفة الى مكة وبعضهم الى منى . وقال بعضهم إن بعضه من عرفة وبعضه من عرنة ، وذلك بعد ان زيد فيه كما سيأتي

وقال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية في مناسك الحج بعد ذكر استحباب المبيت بمنى ليلة عرفة كما فعل النبي (ص) ما نصه : ويسيرون منها الى نمرة عن طريق ضب من يمين الطريق . ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات (أي مغربة كما صرح غيره) من جهة اليمين فيقيمون بها الى الزوال كما فعل النبي (ص) ثم يسيرون منها الى بطن الوادي وهو موضع النبي (ص) الذي صلى فيه الظهر والعصر وخطب ، وهو في حدود عرفة ببطن عرنة . وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس اه المراد منه هنا

وقال الغزالي : في الاحياء وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة . ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك اه

قال الزبيدي عند شرح أول هذه العبارة من شرح الاحياء : وجدت بخط الامام الفقيه الشيخ شمس الدين بن الحريري ما نصه « قد وقع للفقهاء في نسبة هذا المسجد لابراهيم الخليل عليه السلام كلام وقد نسبه اليه جماعة منهم ابن كج وابن سراقة والبغوي والقاضي حسين والازرقي وتبعهم الشيخ النووي وجماعة من المتأخرين، وادعى الاسنوي انه خطأ وانما هو شخص اسمه ابراهيم من رءوس الدولة المتقدمة كما قاله

غير الاسنوي فالتبس بالخليل عليه السلام . ورد الاذرعي هذا بأن الازرقي من أعلم الناس بهذا وقد نسبه الى الخليل عليه السلام، قال وعلى تسليم أن يكون قد بناه من ذكر فلا يمتنع أن يكون منسوبا من صلبه الى الخليل عليه السلام إما لانه صلى هناك أو اتخذ مصلى للناس فنسب اليه » اه وأقول : نعم لا يمتنع ذلك عقلا ولكننا لا نثبته الا بنقل صحيح فأين هو ؟

وقال لز بيدي عند شرح آخر تلك العبارة : قال النووي في زوائد الروضة : الصواب ان نمرة ليست من عرفات وأما مسجد ابراهيم (ع م) فقد قال الشافعي رحمه الله انه ليس من عرفة فلعله زيد بعده في آخره، وبين هذا المسجد وبين موقف النبي (ص) بالصخرات نحو ميل . قال إمام الحرمين وتطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوهها المقبلة من عرفة اه

وقال صديقنا محمد لبيب بك البتانوني في رحلة الحجازية التي ألفها في سنة ١٣٢٨ بعد وصفه لمنى وانتقاله الى وصف الطريق منها الى المزدلفة فعرفة ما نصه: ومن ثم يضيق الوادي ويسمى بوادي محسر حتى اذا وصل الى المزدلفة وهي على مسافة ساعتين من منى (؟) أخذ في الاتساع مرة أخرى . وهناك ترى على يمينك المشعر الحرام الذي يجب الوقوف عنده في النزول من عرفة . وفي هذه الجهة مسجد على جبل قرن عمره السلطان قايتباي . ومن هناك يضيق الوادي ثانيا ويسمى بوادي عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد نمرة (ويسمى مسجد عرفة أو مسجد ابراهيم) انفتحت ارجاؤه الى الشمال والجنوب . وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البواكي [يعني الاروقة] في جهاته الاربع من داخله . وعمره قايتباي عمارة تشكر ، ونصفه الغربي (الذي الى مكة) في الحرم والنصف الآخر في الحل وبوسطه مجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين زبيدة . وفي شمال هذا المسجد بقليل الى الشرق ترى العلمين وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضهما [أي أحدهما بعيد عن الآخر] بارتفاع خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة قد أقيما في فضاء الوادي للدلالة على حدود عرفة من الغرب وهنالك نجد الجبل قد حلق على الوادي وقفله امامك من الشرق [أقفله أي سده] بشكل قوس كبير وهو ما يسمونه جبل عرفة . وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا . وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمونه جبل الرحمة ، وسفحه الجنوبي هو حد عرفة من الشمال . اه

صفة جبل الرحمة بعرفات

قال ابن جبير الاندلسي في رحلته : « وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو كان محشر الخلائق لوسعهم ، يحدق بذلك البسيط الافيح جبال كثيرة . وفي آخر ذلك البسيط جبل الرحمة وفيه وحوله موقف الناس ، والعلمان قبله بنحو الميلين فما أمام العلمين الى عرفات حل وما دونهما حرم ، وبمقربة منهما مما يلي عرفات بطن عرنة الذي أمر النبي (ص) بالارتفاع عنه — ثم قال — «وجبل لرحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم وسط البسيط وهو كله حجارة منقطعة بعضها عن بعض . وكان صعب المرتقى فأحدث فيه جمال الدين (* المذكورة ما أثره في هذا التقييد أدراجا وطيئة من أربع جهاته يصعد فيها بالدواب الموقورة وأنفق فيها مالا عظيما . وفي أعلى الجبل قبة تنسب الى أم سلمة (رض) ولا يعرف صحة ذلك وفي وسط القبة مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه . وحول ذلك المسجد المكرم سطح محدق به فسيح الساحة جميل المنظر يشرف منه على بسيط عرفات . وفي جهة القبلة منه جدار وقد نصبت فيه محاريب يصلي الناس فيها . وفي أسفل هذا الجبل المقدس عن يسار المستقبل للقبلة دار عتيقة البنيان في أعلاها غرف (وفي نسخة غرفة) لها طيقان تنسب الى آدم (ص) وعن يسار هذه الدار في استقبال القبلة الصخرة التي كان عندها موقف النبي (ص) وهي في جبل متطأمن »

أقول هذا الجبل هو جبل إلال (بوزن هلال) قال ابن دريد في وصف الحاج

ينوي التي فضلها رب العلى ... لما دحا تربتها على البنى (١)
حتى اذا قابلها استعبر لا ... يملك دمع العين من حيث جرى (٢)
ثم طاف واثنى مستلما ... ثم جاء المروتين فسعى (٣)
ثم راح في الملبين الى ... حيث تحجى المأزمين ومنى (٤)
ثم أتى التعريف يقرو مخبتاً ... منازلا بين إلال فالقنا (٥)

(* هو جمال الدين محمد الجواد الموصلي كان وزير صاحب الموصل وله في الحرمين والمشاعر عمارات عظيمة (١) البنى جمع بنية بمعنى أثر « دحا الله الارض دحواً من تحت الكعبة » وهو مروي عن عطاء وليس حديثا كما توهمه بعض العامة وتحاه كشفه وتحاه قبل وبسطه (٢) استعبر جرت عبرته أي دمعته (٣) المروتان الصفا والمروة تغليب (٤) تحجى تقصد وتعمد (٥) التعريف الوقوف بعرفة أي أتى مكان التعريف ويقرو يستقري ويتتبع منزلا بعد منزل ، ومخبتا خاضعا خاشعا ، والال الجبل ، والقنا تلال الرمل

موقف النبي (ص) بعرفة

اتفق الرواة على انه (ص) صلى الصبح يوم عرفة بمنى ورحل منها بعد طلوع الشمس حتى جاء نمرة فأقام بها الى وقت الزوال ثم جاء بطن الوادي فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوقف على الموقف من عرفة ، وعلى أن المكان الذي وقف فيه وأشار اليه في الحديث هو المكان المعروف عند الصخرات . وقال « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » والمراد أنه لم يقف هنالك لمزية لذلك المكان على غيره في أداء النسك بل يصح الوقوف في كل موضع من عرفة . ولكن صار لذلك المكان مزية بوقوفه فيه فصار موقف الائمة ونوابهم الذين يحجون بالناس . وقد نقل الزبيدي في شرح الاحياء كلاما متصلا للمحب الطبري في ذلك المكان وفي جبل الرحمة قال

« وقد روى أبو الوليد الازرقي باسناده عن ابن عباس ان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين الأجبل الثلاثة النبعة والنبيعة والنابت ، وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على النابت قال والنابت على النشزة التي خلف موقف الامام . وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هناك نابتة من الجبل الذي يقال له إلال ككتاب = (قال المحب الطبري) وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصخرات الكبار المفترشة في طرف الجبيلات الصغار التي كأنها الروابي عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده و يسمونه جبل الرحمة واسمه عند العرب إلال بالكسر ، وذكر الجوهري فيه الفتح والمحفوظ خلافه ، وهذا يرجح ضبط من ضبط قول جابر في حديثه الطويل « وجعل جبل المشاة بين يديه » بالجيم فان الواقف كما وصفناه يكون هذا الجبل أعني إلالا بين يديه وهو جبل المشاة ، وذكر ابن حبيب ان إلالا جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الامام ، حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الأنصاري في تعاليقه على الجوهري ، وذكر ابن ابي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري ان اسم جبل الرحمة الذي يقال له جبل المشاة كبكب

= (قال المحب الطبري) والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نعمان بقرب الثنايا عنده قوم يدعون الكباكبة نسبة اليه ، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه . اذا تقرر هذا فمن كان راكباً ينبغي أن يلابس بدابته الصخرات المذكورة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن كان راجلا وقف عليها أو عندها بحسب ما يتمكن من غير

ايذاء أحد ،ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبر ولا أثر (قال) وذكر شيخنا أبو عمرو ابن الصلاح في منسكه عن صاحب الحاوي أنه يقصد الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام، وعن محمد بن جرير الطبري أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الامام يعني جبل الرحمة، والذي ذكره صاحب الحاوي لادلالة فيه على إثبات فضل لهذا الجبل فانه قال والذي نختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود وهو الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام والموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الاجبل الثلاثة على النابت. ثم ساق ما أوردناه سابقا ثم قال وهذا أحب المواقف الينا للامام والناس

(قال المحب الطبري) وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء النابت الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة بنفي ولا اثبات . وما فهمه رحمه الله انه جبل الرحمة غير مطابق وقوله وهو الجبل أراد سهله وهو من الاضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض والنبي صلى الله عليه وسلم انما وقف عليه لكونه موقف الانبياء عليهم السلام، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة أنه اراد بالجبل الذي عن يمين الامام الجبل الذي وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو النابت كما تقدم بيانه والظاهر انهما أراداه بقولهما فيكونان قد أثبتا له شيئا من الفضل، ولا نعلم من اين اخذا ذلك اذ لم يثبت في فضله خبر ولو ثبت له فضل فموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه وهو الذي خصه العلما بالذكر والفضل

ثم قال الطبري نقلا عن صاحب النهاية : في وسط عرفة جبل يقال له جبل الرحمة : ولا شك في الرقي عليه وان كان يعتاده الناس. وقال غيره قد افتتن العامة بهذا الجبل في زماننا واخطؤا في اشياء، منها (أنهم) جعلوا الجبل هو الاصل في الوقوف فهم بذكره لهجون، وعليه دون غيره معرجون ، حتى ربما اعتقد بعض العامة ان الوقوف لا يصح بدون الرقي (فيه) ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف ، ومنها ايقادهم النيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم واختلاط النساء بالرجال هنالك صعودا وهبوطا بالشمع الكثير الموقد، وانما حدث ذلك بعد انقراض السلف الصالح ، ومن كان متبعا آثار النبوة فلا يحصل بعرفة قبل دخول وقت الوقوف يأمر بذلك ويعين عليه وينهى عن مخالفته اه ما نقله الزبيدي

هذه الصورة رسمت لرحلة البقاعي

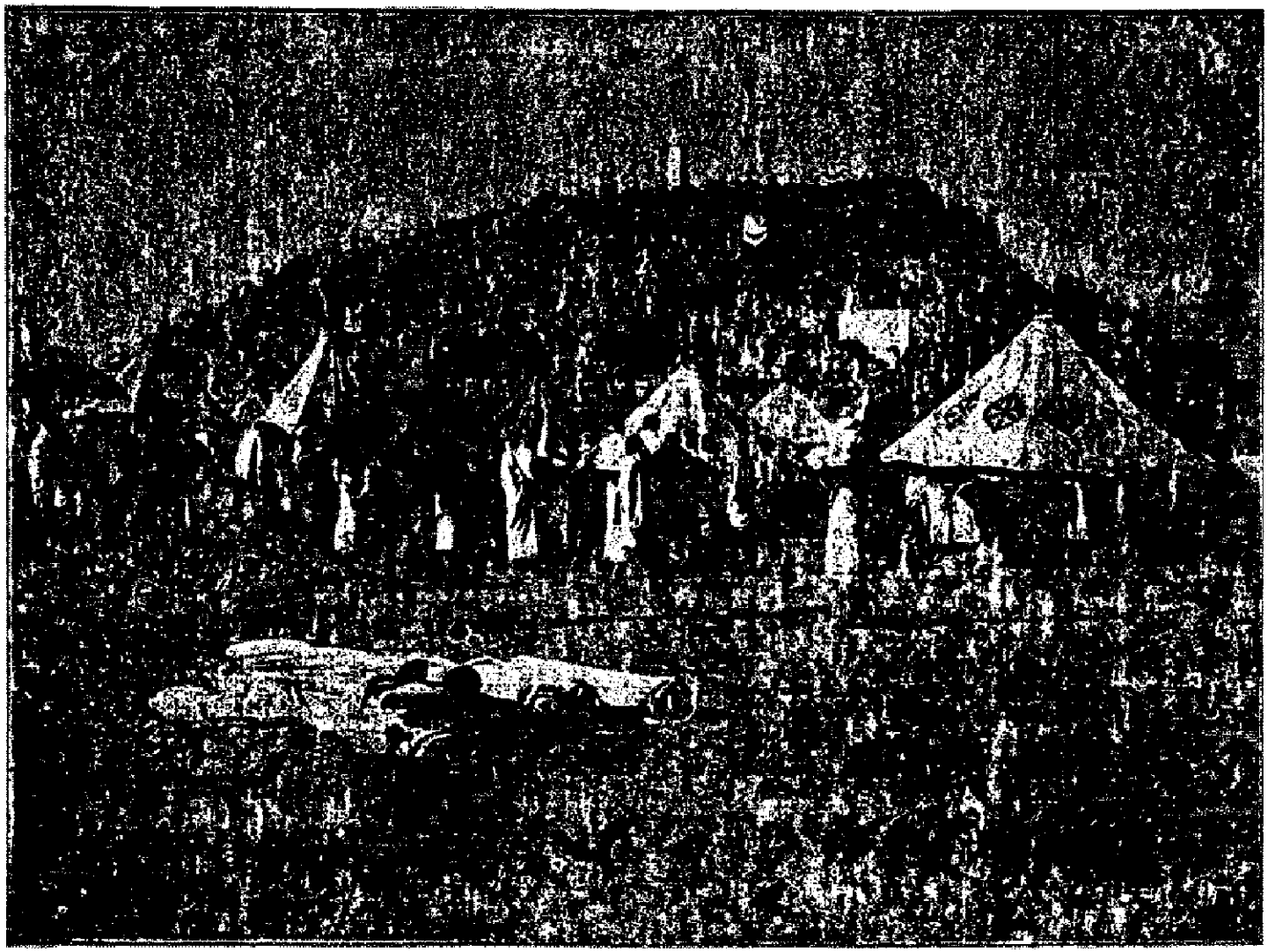

المنجاخ على جبل الرحمة بعرفات

هذه الصورة رسمت لرحلة البنتونى